نفحات من عبق السيرة النبوية

الدرس الثاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا

عناصر المحاضرة:

1. عبد المطلب جد النبي الأول.
2. حفر بئر زمزم.
3. حادثة الفيل.
4. مولد الرسول ﷺ.
5. رضاعه ﷺ.
6. شق صدره ﷺ.
7. خاتم النبوة.
8. فقه الحكمة من نشأته يتيماً ﷺ.

ونكمل اليوم نفحات من عبق السيرة النبوية بالحديث عن جد النبي الأول:

من هو جد النبي صلى الله عليه وسلم؟ عبد المطلب جد النبي الأول

هل عبد المطلب اسم الجد أم لقبه؟ هذا لقبه أما اسمه (شيبة الحمد).

من أين جاء اسم عبد المطلب؟ أبوه أسمه هاشم كان سيد قريش وتزوج من يثرب

(يثرب هي ما يعرف الآن بالمدينة، لما هاجر إليها النبي صلى الله عليه وسلم سماها، المدينة، وطيبة، وطابة، لأنه كره اسم يثرب، لأن يثرب من الثرب أي الفساد).

⇦وكان هاشم هو زعيم رحلتا الشتاء والصيف، فكانوا في الصيف يسافروا بالتجارة لبلاد الشام وفي الشتاء يسافروا لليمن، وهاشم من الأشراف وكان من عادة الأشراف أن يأخذوا زوجاتهم معهم، فلما خرج لرحلة الصيف إلى بلاد الشام، وكان هاشم مصطحب زوجته معه وكانت قد حملت

بعبد المطلب {{شيبة الحمد}} ولما وصلت يثرب جائها المخاض وولدته ، فتركها هاشم عند أهلها وتابع رحلته إلى بلاد الشام للتجارة ، وأثناء رحلته توفي في مدينة غزة ودفن فيها فسميت {{غزة هاشم }} أصبح عبد المطلب يتيم الأب وتربى عند أخواله وإسمه بينهم {{ شيبة الحمد }}، فجاء من مكة عمه أخو أبوه هاشم وكان اسمه {{ المطلب}} قال لأمه ابن أخي شيبة يجب عليه أن يلحق بقريش فإنهم أهله وقومه لأنه أصبح كبير وهو الآن غريب بين القوم ونحن أهل شرف في قومنا لا يجوز أن يبقى ابن أخي عندكم قالت أمه نخيّره ؟ فعندما سألوا شيبة الحمد قال بل ألحق بقومي الآن خرج عمه المطلب ومعه ابن أخيه شيبة إلى مكة، لما وصلوا مكة ودخلها مع هذا الغلام الصغير، قالت قريش المطلب أحضر معه عبد من العبيد فأصبحوا يقولوا {{عبد للمطلب}} قال لهم المطلب لا لا إنه شيبة ابن أخي، فمشى الاسم عليه من أول دخوله مكة وصاروا يسموه عبد المطلب أما اسمه الحقيقي {{ شيبة الحمد}} وعبد المطلب لقب.

✉ثم إن عمه المطلب بن عبد مناف خرج في تجارة إلى اليمن، فهلك في منطقة (ردفان) من أرض اليمن، فولى بعده عبد المطلب السقاية والرفادة، وأقامها للناس مُسْتناً بمن كان قبله من آبائه.

وكان عبد المطلب بن هاشم رجلا جسيماً وسيماً أبيضاً، طويل القامة، فصيح اللسان، كريم الأخلاق.

ما رآه أحد قط إلا أحبه، وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه، وعظمت مكانته فيهم حتى عُرف بين أهل مكة بـ (شيبة الحمد) لكثرة حمد الناس إياه، ويقال له (الفياض)لجوده،

ويقال له (مطعم طير السماء) لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش على رؤوس الجبال.

وكان يطعم قومه الكبد والسنام.

ولم يكن عبد المطلب عظيماً عند قريش فحسب، وإنما كان عظيماً كذلك في جميع أنحاء الجزيرة العربية، وله مكانة عند ملوك العرب، وقد اختارته قريش ليكون رئيساً لوفدها عند المهمات واللقاءات مع الملوك والأمراء. السيرة النبوية بين المعرفة والواجب في ضوء القرآن والسنة

حفر بئر زمزم:

أصبح شيبة الحمد، المعروف بلقب {عبد المطلب} رجل كبير وأصبح {سيد قريش} وكان له الشرف الكبير بين العرب وخاصةً عندما حفر بئر زمزم.

بئر زمزم كان مطمور بالتُراب من زمنٍ بعيد، كانت قريش تسمع عنهُ بالقصص القديمة، إلى أن رأى عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا في منامهِ، رأى عبدالمطلب رؤيا تكررت معه أكثر من مرة، شخص يأمره بحفر بئر زمزم عند الكعبة، ويحدد له مكان الحفر، وكان بئر زمزم قد دفن بالتراب مع مرور الزمن، فلما أستيقظ من نومه ،أخذ يفكر بالرؤيا المتكررة ، ويتذكر قصص قديمة ، التي كانت تروى أنه على زمن اسماعيل عليه السلام ، عندما كان رضيعاً ، انفجر بئر تحت قدميّ اسماعيل عليه السلام ، وأن أهل مكة دائماً يذكرون في مجالسهم ، أن هناك بئر في مكة مطمور لا يعرف مكانه ، وأن كل الآباء حفروا وبحثوا عن هذا البئر ، ولكنهم لم يجدوا هذا البئر المبارك زمزم .

فخرج عبد المطلب لقريش، وقص عليهم الرؤيا التي رأها فقالوا له : دلنا على ذلك المكان !!فأشار لهم إلى ذلك المكان الذي عند الكعبة، فرفضوا جميعاً أن يحفر في هذا المكان والسبب {{أن المكان الذي أشار إليه عبد المطلب، يقع بين صنمين من الأصنام التي تعبدها قريش، صنمٌ اسمه (أساف)والآخر اسمه (نائلة) فحاول عبد المطلب أن يقنعهم، ولكن رفضوا بشدة}} وكان عبد المطلب عنده، ولد وحيد، وهذا يعني في قريش أن ليس له عزوة ولا عشيرة ولا عصبية يدافعوا

عنه، وفي أيامهم، كان كل شيء يمشي ويعتمد على القبائل والعصبية ،فحزن عبد المطلب حُزن شديد واعتصر قلبه من الألم ، ثم وقف عنِد باب الكعبة ، وقلبه يعتصر من القهر ونذر لله إن وهبتني عشرة من الأولاد الذكور ، وبلغوا مبلغ الرجال ، واستطعت حفر بئر زمزم ، لأذبحنّ أحد أبنائي .

◈ لكن قريشاً أُلهمت أن تترك لعبد المطلب سقاية زمزم.

◈فأجاب الله دعاء عبد المطلب، ورزقه عشرة أولاد غير البنات، وهم: (الحارث بن عبد المطلب، وهو أكبرهم، والزبير بن عبد المطلب، وعبد العزى أبو لهب، والمقوّم، وضرار، وأبو طالب، وحَجل، وعبد الله والد رسول الله ﷺ، وهو شقيق الزبير، وحمزة، والعباس، وهو أصغر أولاد عبد المطلب).

⇦وقد أسلم من أعمام النبي ﷺ العشرة اثنان: حمزة، والعباس رضي الله عنهما.

أما بنات عبد المطلب فست، وهن: صفية بنت عبد المطلب، وأم حكيم وهي البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة.

⇦ولم يسلم من عمات النبي ﷺ الست إلا صفية.

📝ولما بلغ بنو عبد المطلب عشرة أبناء ذكور، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء بالنذر فأطاعوه، ثم ضرب عليهم بالقداح، فخرج القدح على أحب ولده إليه (عبد الله)، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، ولا سيما إخوته وأخواله، من بني مخزوم، فقال عبد المطلب: ماذا أصنع بنذري؟ فأشير عليه أن تُضرب القداح على عبد الله، وعلى عشر من الإبل، فإن خرجت على عبد الله فتزاد عشرا حتى يرضى ربه، وإن خرجت على الإبل فتنحر عنه، فخرجت القرعة على عبد الله، فزادوها عشرا، ثم ضربوا القداح فخرجت على عبد الله، وما زالوا يزيدون حتى بلغت الإبل مائة، ثم وقعت القرعة عليها.

فقالت قريش: لقد رضي ربك يا عبد المطلب، ثم نُحرت الإبل، وتُركت لا يُصد عنها إنسان ولا سبع ولا طير.

📝فعبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل، وجرت عليها قريش والعرب، ثم أقرها رسول الله ﷺ على ما كانت عليه قبل الإسلام. السيرة النبوية بين المعرفة والواجب في ضوء القرآن والسنة

⇦(فالدية في القتل الخطأ وفي العمد وشبه العمد كلها مائة من الإبل في حق المسلم). ابن باز

📝**ومن هذه القصة نعلم لماذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم ابن الذبيحين:**

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ابنُ الذَّبيحَينِ: صحَّ أنَّ أعرابيًّا قالَ للنَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: يا ابنَ الذَّبيحَينِ، فتبسَّمَ ولَم يُنكرْ عليهِ، وأمَّا أنا ابنُ الذَّبيحَينِ) مختصر المقاصد الدرر السنية

📝سألوا الشيخ ابن باز رحمه الله عن هذا الحديث فقال: هذا مروي عنه ﷺ وفي صحته نظر لكنه مشهور، والذبيحان هما إسماعيل وعبد الله، إسماعيل جده ابن إبراهيم، فإن الله جل وعلا أمر إبراهيم بذبحه ثم نسخ ذلك والحمد لله، لما سلما لأمر الله نسخ الله ذلك وفداه بذبح عظيم.

وأما عبد الله فالمشهور أن عبد المطلب نذر إن الله وهبه عشرة أبناء أن يتقرب إلى الله بذبح أحدهم، فتم له ما رجا وأعطاه الله عشرة، فأقرع بينهم أيهم يذبحه فوقعت القرعة على عبد الله فلم يذبحه وفداه بمائة من الإبل، بدلاً من ذبحه واستقرت هذه الدية في قريش فيما ذكر جماعة من المؤرخين لقريش وعبد المطلب.

حادثة الفيل:

حادث الفيل حادث عظيم لم يحدث مثله في تاريخ العرب، وكان دليلاً على ظهور حادث أكبر منه، وعلى أن الله يريد بالعرب خيراً، وأنه سيكون للكعبة شأن ليس لغيرها من بيوت العبادة.

وقد وقعت حادثة الفيل في عهد عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وتزامنت مع العام الذي ولد فيه الرسول ﷺ.

وموجز القصة

أن أبرهة الحبشي نائب ملك الحبشة النجاشي في اليمن، رأى العرب تتوافد على البيت الحرام في مكة، وتحجه كل عام، فبنى كنيسة كبيرة بصنعاء في اليمن، وسماها (القُلَّيس)، وأراد أن يصرف العرب إلى الحج إليها بدلاً من البيت الحرام بمكة.

فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فسار إليها ودخلها ليلاً، ولطخ جدرانها بالعذرة، فلما علم أبرهة بذلك غضب، وقرر أن يهدم الكعبة، وسار بنفسه يقود جيشاً كبيراً، وكان في جيشه عدد من الفيلة، واختار لنفسه أكبر الفيلة، وسماه (محموداً).

ومضى أبرهة وجيشه لا يقف له أحد حتى وصل إلى المُغَمَّس شرق الحرم المكي، قرب عرفة على مسافة عشرين كيلاً من مكة، وهناك ساق أموالاً لقريش، منها مئتا بعير لعبد المطلب.

فجاء عبد المطلب، وكان سيد قريش، فدخل على أبرهة، فلما رآه أبرهة أجَلَّه وأكرمه، ثم قال له: ما حاجتك؟ ! فقال: حاجتي أن يرد الملك عليّ مائتي بعير التي أخذها. فقال الملك: كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني! أتكلمني في مائتي بعير، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ ? فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. فقال أبرهة : ما كان ليمتنع مني، قال : أنت وذاك.

فأمر أبرهة أن تُرد إبل عبد المطلب إليه، فلما قبضها، قلدها النعال، وأشعرها، وجعلها هدياً، وبثها في الحرم، وأشار عبد المطلب على قومه بالتفرق في الشعاب، والتحرز في رؤوس الجبال، خوفاً عليهم من معرة جيش أبرهة؛ لأنه رأى أنه لا طاقة لهم بقتال أبرهة وجنوده، وأن للبيت رباً سيمنعه، فلجأت قريش إلى الشعاب والجبال، وجلست تنتظر ما يصنع أبرهة وجنوده.

وقام عبد المطلب عند الكعبة يدعوا الله ويستنصره، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة ويقول:

اللهُمَّ إنَّ المَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ

لَا يَغْلِبَنَّ صَليبُهُمْ ومَحَـــالُهُمْ

إنْ كُنْـــتَ تَـارِكَهُمْ وَقِـــبْلَتَنا

فـــــــامْنَـعْ رِحَـــالَـكْ

غَـــــــدْواً مَحَـــالَـــكْ

فـــأمْـرٌ مـــا بـــَـدَا لَـكْ

وعبأ أبرهة جيشه، وتهيأ لدخول مكة، فلما وجهوا فيل أبرهة، إلى مكة برك، فضربوه ليقوم فأبى، فوجهوه إلى جهة اليمن فقام يهرول، ثم وجهوه إلى مكة فبرك.

فبينما هم كذلك إذ أرسل الله على أبرهة وجنوده طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل بحجم الحمص أو العدس، لا تصيب منهم أحداً إلا أهلكته وقطعته، وليس كلهم أصابت، فأهلكت الطيرُ أكثرهم، وفر الباقون هاربين من حيث جاؤا.

وأما أبرهة فأبقاه الله ليرى ما حل بجيشه من الهلاك والفرار، وبعث الله على أبرهة داءً تساقطت منه أنامله أنملة أنملة، ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل فرخ الطائر، وانصدع صدره عن قلبه، فمات بين قومه في بلده شر ميتة، وأخبر الله عن أصحاب الفيل بقوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (4)} [الفيل/١-4].

((وفي هذه الحادثة عبرة لكل طاغية متكبر متجبر في كل العصور والأزمان، لذا جاء فعل تَرَ في قوله (ألم تَرَ) بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد، فكل من طغى وتجبّر، سيكون عقابه ومصيره كمصير أبرهة وجيشه)).

ولما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشاً، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم شر عدوهم، وازدادوا تعظيماً للبيت الحرام، وإيماناً بمكانته عند الله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} [العنكبوت/٦٧].

ووقعت حادثة الفيل هذه في شهر المحرم سنة (571م) قبل ميلاد الرسول ﷺ بحوالي شهر ونصف تقريباً، وكان هذا الحادث العظيم آية من آيات الله، ومقدمة لبعثة نبي يبعث في مكة، ويُطهّر الكعبة من الأوثان، ويعيد إليها ما كان لها من رفعة وشأن، وتكون لدينه صلة عميقة دائمة بهذا البيت: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ} [المائدة/٩٧].

وحادثة الفيل جاءت لتبرز وتعلي مكانة قريش بين سائر القبائل العربية، فقد استباح أبرهة القبائل والأراضي التي مر بها، وحمى الله قريشاً وبلده الحرام من أبرهة.

حتى إذا ظهرت مكانة قريش، ثم بُعث منها وفيها نبي هو محمد ﷺ، فتابعته هذه القبيلة، انقادت له سائر القبائل الأخرى، كما أنه إذا انقاد القلب لله انقادت له سائر الجوارح بالطاعة.

⇦فسبحان الحكيم العليم في خلقه، وأمره وتدبيره.

وقد خص الله أهل مكة بهذا التكريم، وهذه الحراسة؛ لأن أهل مكة قدوة لجميع القبائل، فإذا أسلموا أسلم الناس.

وأحوال العرب وقت حادثة الفيل تدل على أنهم كانوا أوزاعاً متفرقين، منهم من هو خاضع للفرس في العراق، ومنهم من هو خاضع للروم في الشام، ومنهم من هو خاضع للأحباش في اليمن، ومنهم القبائل التي يأكل بعضها بعضاً في وسط جزيرة العرب.

وما حدث في قصة الفيل كان مقياساً لحقيقة العرب، وأنه لا قيمة لهم بدون الإسلام.

واستعظمت قريش هذا الحادث العظيم، فَـأَرَّخوا به الأحداث، وقالوا وقع هذا الأمر عام الفيل، وولد فلان عام الفيل، ووقع هذا بعد عام الفيل بسنة ... وهكذا. السيرة النبوية بين المعرفة والواجب في ضـــوء القــرآن والســـنة

مولد الرسول ﷺ:

لما بلغ عبد الله بن عبد المطلب خمساً وعشرين سنة، وكان شاباً نسيباً وسيماً، أراد أبوه عبد المطلب أن يزوجه، فزوجه (آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة)، وآمنة يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وأبوها سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، وبنى بها عبد الله في مكة، ثم خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام للتجارة مع عيرٍ من عير قريش، ثم انصرفوا ومروا بطريق عودتهم على المدينة، فأقام عبد الله عند أخواله بني النجار؛ لشعوره بالمرض، فجلس عندهم أياماً ثم مات ودفن بالمدينة، وعمره خمس وعشرون سنة، ورسول الله ﷺ جنين في بطن أمه (آمنة).

ولما قدم أصحابه إلى مكة سألهم عبد المطلب عن ابنه (عبد الله) قالوا: خلفناه عند أخواله بني النجار، لأنه مريض، فبعث إليه عبد المطلب أكبر أولاده، الحارث بن عبد المطلب، ولما وصل إلى المدينة وجد عبد الله قد مات ودفن هناك، فرجع الحارث إلى أبيه عبد المطلب فأخبره أن عبد الله قد توفي، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً.

وجميع ما خلفه عبد الله بن عبد المطلب، خمساً من الإبل، وقطعة غنم، وجارية حبشية اسمها (بركة)، وهي أم أيمن رضي الله عنها.

وفي نهار يوم الاثنين، من شهر ربيع الأول، من عام الفيل، الموافق سنة (571م)، ولد سيد الخلق محمد ﷺ، في شعب بني هاشم بمكة المكرمة.

عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ سُئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ» أخرجه مسلم.

عَنْ قَيْسِ بْنِ مَـخْـرَمَةَ رضي الله عنه قال: وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ الله ﷺ عَامَ الْفِيلِ. أخرجه أحمد والترمذي.

وكونه ﷺ ولد في شهر ربيع الأول فيه إشارة إلى ما في شرعه من الحسن ما يشبه زمن الربيع، فإنه أعدل الفصول، وشَرْعه ﷺ أعدل الشرائع.

وفي ولادته ﷺ في ربيع بشارة لأمته بكل خير، فالربيع تنشق الأرض فيه عما في بطنها من نعم الله تعالى، ومولده ﷺ في ربيع إشارة ظاهرة إلى التنويه بقدره، وأنه أقبل بأعظم نعمة، وأنه رحمة للعالمين: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء/١٠٧].

فهو الأول على الأنبياء، وشريعته الأولى على الشرائع، وكتابه الأول المهيمن على جميع الكتب: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة/٣].

وكونه لم يثبت تاريخ اليوم الذي ولد فيه من ربيع الأول فيه إشارة إلى أن يوم مولد الرسول ﷺ لا يرتبط بعبـادة معينـة، ولم يُـشرع فيه نوع من العبادة، لا احتفال بمولده ولا غيره: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور/٦٣].

وليوم الاثنين ميزة خاصة في حياته ﷺ، فإنه ولد في هذا اليوم، وفيه بعث، وفيه مات ﷺ.

والرسول ﷺ ولد بعد موت والده، وهذا أبلغ اليتم، وأعلى مراتبه، ثم ماتت أمه وعمره ست سنين أمام عينيه، حتى لا تتدخل يد أب أو أم حانية في توجيهه، بل يتولاه الحكيم العليم بالتربية والرعاية كما قال سبحانه: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (8)} [الضحى/٣-٨]. ويتلقى علومه من لدن حكيم خبير: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} [النساء/١١٣]

بعد ولادة (آمنة بنت وهب) النبي ﷺ، أرسلته إلى جده عبد المطلب، فأخذه ودخل به الكعبة، ولما كان يوم سابعه ختن عبد المطلب محمداً ﷺ على عادة العرب، وعق عنه بكبش، وجعل له مأدبة، وسماه محمداً، وأشهره بين الناس، ودعا له قريشاً، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب ماذا سميت ابنك؟ ❓ قال: سميته محمداً، فقالوا: كيف سميت باسم ليس لأحد من آبائك وقومك؟ فقال: إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض وأهل السماء.

وقد ورد اسم (محمد ﷺ) في القرآن:

فقد تكرر اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ (محمد) في القرآن الكريم أربع مرات:

❶ في سورة آل عمران، قال تعالى: (ومَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) [آل عمران:144].

❷ في سورة الأحزاب، قال تعالى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [الأحزاب:40].

❸ وفي سورة الفتح، قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح:29].

❹ وفي سورة محمد، قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) [محمد:2].

⇦وجاء اسمه (أحمد) في التوراة كما قال سبحانه: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف/٦].

وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ» متفق عليه.

⇦يمحو: يزيل. النبي -صلى الله عليه وسلم -أزال الله به الكفر وأهله.

⇦الحاشر: يُحشر قبل الناس. النبي -صلى الله عليه وسلم-أول من يُحشر يوم القيامة.

⇦العاقِب: الذي ليس بعده نبي. النبي -صلى الله عليه وسلم -آخر الأنبياء وخاتمهم. موسوعة الأحاديث النبوية

وكُنِّي ﷺ بأبي القاسم، عَنْ جابر بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي، فإِنِّي أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ، أَقْسِمُ بينكم» متفق عليه.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: وهذا عند العلماء في حياته ﷺ؛ لأنه إذا نودي أبا القاسم قد يشتبه على الناس، قد ربما التفت إذا كان يسمع عليه الصلاة والسلام يظن أنه هو المدعو والمدعو غيره. لكن لما توفي عليه الصلاة والسلام زال المشكل، وزال المحذور، فلا حرج في التسمية باسمه ولا حرج في التكني بكنيته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، أما اسمه فلا حرج فيه مطلقًا حتى في حياته ﷺ.

ولكل إنسان من اسمه نصيب، سواء في الأشخاص أو غيرهم، فاسم الرسول ﷺ (محمد) فيه تنبيه على أنه محمود عند الله، ومحمود عند الملائكة، ومحمود عند إخوانه المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم، ومحمود في الدنيا، ومحمود في الآخرة حين يقوم المقام المحمود.

واسمه (أحمد) ﷺ إعلام من ربه أنه أحمد الخلق لربه، وأحسنهم حمداً.

وولد ﷺ في شهر ربيع الأول، وفي ذلك إشارة عظيمة الاستبشار بابتداء نعم المولى عليه وعلى العالمين: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (107) } [الأنبياء/١٠٧] .

ومن الفأل الحسن، وصنع الله فيه، أن أمه ﷺ (آمنة) والقابلة (الشفا) أم عبد الرحمن بن عوف، وحاضنته بركة، ومرضعته أمه، وثويبية، وحليمة السعدية.

وفي الأسماء نصيب، ففي الوالدة والقابلة الأمن والشفاء، وفي اسم الحاضنة البركة والنماء،

وفي مرضعاته الأمن والثواب والحلم والسعد {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾[التوبة/١٢٨].

رضاعه ﷺ:

كانت أول من أرضعته ﷺ هي أمه (آمنة)3أيام وكانت قليلة الحليب، ثم أرضعته ثويبية مولاة عمه أبي لهب، وكان أبو لهب قد أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ.

[[وإخوة النبي ﷺ من الرضاعة من مرضعته (ثُوَيْبَة) مَوْلاة لأَبِي لَهَب اِرْتَضَعَ مِنْهَا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْل حَلِيمَة السَّعْدِيَّة رَضِيَ الله عَنْهَا.❶مسروح ❷وعمه حمزة ❸ وابن عمته أبو سلمة]] ومن مرضعته حَلِيمَة السَّعْدِيَّة رَضِيَ الله عَنْهَا ❹عبد الله❺والشيماء ❻وأنيسة ❼وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب]]. اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون

ثم قَدِمت مجموعة من النساء المرضعات يبحثن عن الأطفال، ومنهن حليمة السعدية رضي الله عنها، فعُرض عليهن الرسول ﷺ، فكن يرفضن أخذه إذا قيل لهن أنه يتيم، لأنهن يرغبن في صلة أبيه.

وقد وجدت جميع النساء معها أطفالاً، وبقيت حليمة لم تجد غير هذا اليتيم، فأخذته معها؛ لأنها كرهت أن ترجع من بين صواحبها ولم تأخذ رضيعا، فأخذته وسألت الله أن يجعل لها فيه بركة،

ولم تأخذه إلا لأنها لم تجد غيره.

وديار حليمة السعدية في وادٍ جنوب غرب الطائف، على نحو مائة كيلو من الطائف.

فأخذته حليمة، فلما وضعته في حجرها در لبنها، فشرب ﷺ حتى روي، ثم شرب أخوه حتى روي، ثم ناما، ثم قام زوجها إلى شارف لهم فإذا هي حافل باللبن، فحلب منها، ثم شرب وشربت معه، حتى انتهيا رياً وشبعاً، وباتوا بخير ليلة.

فلما أصبحوا قال زوجها الحارث بن عبد العزى -المكنى بأبي كبشة-: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذتي نسمة مباركة، فقالت حليمة: والله إني لأرجو ذلك.

ولما رجعوا إلى بلادهم حملته معها على أتانها، فسبقت الكل، والنساء يقلن: والله إن لها لشأناً.

فلما قدموا منازلهم من بلاد بني سعد، وكانت أرضاً مجدبة، كانت غنم حليمة حين قدمت بالنبي ﷺ تروح عليها شباعاً لبناً، فتحلب وتشرب، وغيرهم لا يحلب قطرة لبن، وهذه من بركة النبي ﷺ على حليمة السعدية وزوجها الحارث.

ولم يزل الرسول ﷺ عند حليمة السعدية حتى مضى من عمره سنتين، ثم فطمته عن الحليب.

وكان ﷺ يشب عندها شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلاماً كأنه ابن أربع سنين.

وبعد أن بلغ النبي ﷺ سنتين قدمت به حليمة إلى أمه (آمنة)، وهي حريصة على بقائه معها، لما يرون فيه من البركة التي حلت عليهم منذ نزل عندهم، فرأته آمنة واطمأنت عليه، ولم تزل بها حليمة حتى وافقت على رده معها.

ثم عادت حليمة بالرسول ﷺ إلى ديار بني سعد، إن إرسال النبي ﷺ للرضاعة في البادية -على عادة أشراف العرب -له فوائد جمة: منها تجنب أوبئة المدن، والاستفادة من مناخ البادية الصحي، وفي خروج الأطفال إلى البادية تعويد لهم على النطق السليم للغة العربية، وحماية لهم من اللحن فيها، والله سبحانه يُـعِدّ رسوله، ليفهم اللغة العربية التي سوف يستقبل بها القرآن الكريم، ويبلغ بها القرآن والأحكام: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195)} [الشعراء/١٩٣-١٩٥].

وفي خروج الأطفال صغاراً إلى البادية تقوية لأجسادهم، وإبعاد لهم عن تدليل الأمهات والأخوات، وتربية لهم على الصبر والمجاهدة منذ الصغر.

شق صدره ﷺ:

حادثة شق صدر النبي ﷺ وقعت له مرتين:

❶: حين كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر، وعمره أربع سنوات.

قالت حليمة: ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ،فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لَأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ،وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ ،فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ ، قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ المِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ. أخرجه مسلم.

وفي حديث صحيح رواه الامام أحمد «ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أُلْبِسَ بِي قَالَتْ: أُعِيذُكَ بِاللهِ، فَرَحَلَتْ بَعِيرًا لَهَا فَجَعَلَتْنِي عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبَتْ خَلْفِي حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّي، فَقَالَتْ: أَوَأَدَّيْتُ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي؟ وَحَدَّثْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يَرُعْهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ» أخرجه أحمد.

❷: شق صدره ليلة الإسراء والمعراج.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...» متفق عليه.

وحكمة شق صدره ﷺ عياناً:

أن في ذلك إشارة إلى إعداده وتهيئته للرسالة بأمر يعرفه الناس، فقد أجري للرسول ﷺ عملية تطهير لقلبه بإزالة تلك العلقة السوداء، ثم غسل القلب بماء زمزم، وذلك تطهير معنوي أخذ الشكل الحسي الذي يراه الناس؛ تأهباً لما سيُلقى إليه من الوحي.

وفي شق صدره في صغره إشارة إلى عصمة الرسول ﷺ منذ صغره، فقد أزيل منه حظ الشيطان لينشأ نشأة لا نصيب فيها للشيطان، على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان.

وفي شق صدره ﷺ إشارة إلى تعهد الله لنبيه عن مزالق الطبع الإنساني، ووساوس الشيطان، حصانة لوحيه الذي أرسله الله به: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) [النجم/١-٥].

[[بل إنّ الله خصّه بأن أسلم له قرينه من الشّياطين كما ذكرنا سابقاً، فقد روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم:((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنْ الْجِنِّ)) قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ)).]]

خاتم النبوة:

وهو عبارة عن قطعة لحم ناتئة، عليها شعر، حجمها قدر بيضة الحمامة، ومكانها عند كتفه الأيسر ﷺ

⇦وهذا الخاتم علامة من علامات نبوته ﷺ في الكتب السابقة كما في قصة بَحِيرا الراهب، التي ذكرناها في أول رحلة للنبي صلى الله عليه وسلم مع عمه أبو طالب.

فقه الحكمة من نشأته يتيماً ﷺ:

ونشأ ﷺ يتيماً لئلا يكون عليه حق لمخلوق، ولينظر ﷺ إذا وصل إلى مدارج عزه إلى أوائل أمره، ليعلم أن العزيز من أعزه الله، وأن قوته وظهوره ليس من الآباء والأمهات، ولا من الأموال والجاه، بل من الله الذي بيده وحده ملكوت كل شيء: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف/٩].

ونشأته ﷺ يتيماً يجعله أكثر تعلقاً بربه، ويجعله أكثر إحساساً بآلام الفقراء واليتامى والمحتاجين، فتزداد رحمته لهم، ولئلا يقول المبطلون أن محمداً ﷺ تلقى دعوته هذه من والده، أو ورثها منه، فانقطع بذلك اليتم توارث الزعامة أو التوجيه الأبوي لها، وفيه عبرة لكل يتيم ألا يقف أمام اليتم حزيناً غير منتج.

فلعل الحكمة من أن يكون يتيماً:❶ وكأن الله لا يريد أن يؤثر عليه أبوه أو أمه بنوع من التربية؛ لأنه يريد -عز وجل-أن يتولى تربيته بنفسه وهو يتيم.❷وليشعر أيضاً بشعور الضعفاء والمساكين والأيتام عندما يتولى قيادة المجتمع، فيرعاهم ويتعهدهم باللطف والرحمة. كما قال له: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى) [الضحى: 6].

⇦وهذا ما حدث فعلاً، فقد كان صلى الله عليه وسلم يهتم بالأيتام، بل أنه بشر كافلهم بالجنة فقال: " كافِلُ اليَتِيمِ له، أوْ لِغَيْرِهِ أنا وهو كَهاتَيْنِ في الجَنَّةِ وأَشارَ مالِكٌ بالسَّبَّابَةِ والْوُسْطَى "صحيح مسلم

⇦ووصى أمته بالضعفاء والمساكين؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: " ابغوني في ضعفائِكم ، فإنَّما تُرزَقون وتُنصرون بضعفائِكم "صحيح الترغيب والترهيب

✉كان صلى الله عليه وسلم مثالاً للأخلاق الفاضلة ، والقيم السامية ، وكيف لا ، وقد وصفه ربه بقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (4) القلم وقال هو صلى الله عليه وسلم عن نفسه : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ » رواه البيهقي ، فلم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ،ولا سخاباً في الأسواق ،ولا يجزي بالسيئة السيئة ،ولكن يعفو ويصفح ، وتقول أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها – في وصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما في الصحيحين : (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – لِنَفْسِهِ ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا) ، وكان صلى الله عليه وسلم ذا رَحمةٍ وشَفَقَةٍ وإحسانٍ ، يُواسي الفُقراءَ وَيَسْعى في قضاءِ حاجةِ الأرامِلِ والأيتامِ والمساكينِ ، والضُّعفاءِ ، وكان من أشدِّ النَّاسِ تَوَاضُعاً وعفواً وتسامحاً وحلماً ،فما أعظَمَهُ من نبيٍ وما أحلاها من صِفاتٍ ، عَسَانا أن نَتَجَمَّلَ ونتحلى بصفاته الكريمة؛ لنكونَ على هديِهِ – صلى الله عليه وسلم.

✉إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من وطئ الثرى، وأول من تُفتح له الفردوس الأعلى؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ بَنِى آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ.

✉وكان فصيح اللسان واضح البيان، موجز العبارة موضح الإشارة، آتاه الله جوامع الكلم، وأعطاه بدائع الحِكَم؛ وفي سنن الترمذي : (عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِى فِي وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله

عليه وسلم- كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ) ، إنه الحبيب المصطفى والرسول المجتبى الذي، بعثه الله جل علا؛ ليخرج الأمة من الوثنية والظلام إلى التوحيد والإسلام، وينقذ الناس من التناحر والتفرق والآثام، إلى العدل والمحبة والوئام.

المراجع:

❶السيرة النبوية بين المعرفة والواجب في ضـــوء القــرآن والســـنة.

❷الموسوعة التاريخية: الدرر السنية.

❸موقع خطب دعاة إلى الله.